الأوائل

د.علي بكر حسن

بزغ فجر الإسلام وصاحبته اللغة العربية في طوال رحلته. اهتم بها القاصي والداني والغادي والرائح حتى باتت رحم بين أهلها، مهما بعُدت بينهم الشُقّة وطوّفتْ بهم البلدان. ومن هؤلاء أناس لم يخرجوا من أرحام أمهاتهم يتحدثونها، وإنما تعلموها كبارا بوازع من عند أنفسهم، ثم علّموها لأجيال تلتهم. هؤلاء المعلمون صاروا أساتذة في أروقة الدرس في الجامعات الأوربية منذ العصور الوسطى وإلى يومنا هذا. هذه الدراسة تلقي بعض الضوء على أوائل هؤلاء الأساتذة لتُعَرِّف بهم وبدورهم في رأب الصدع الثقافي، وتجسير الهوة الفكرية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بعد أن تضافرت عوامل شتى نخرت في جسر التواصل الفكري الممتد بين الشرق والغرب، فتصدع، مؤذنة بانهياره. ولله درك يا أم اللغات، بينما كان قس إسباني من محاكم التفتيش أعماه التعصب، يفتش عن كتب عربية ليحرقها في ميدان عام في غرناطة، كان آخر يَستنُّ ريشتَه ليكتب فيكِ كتاباً. أو يلقي فيك درساً، أو يترجم عنك قانوناً في الطب أو معادلة في الرياضيات أو قاعدة في الفيزياء.

اتسعت الهوّة الفكرية في القرن السادس عشر الميلادي بين عالم تطلع عليه الشمس وعالم تغرب فيه، حيث يقف كل منهما على النقيض من الآخر منذ أن مدّ الإسلام رحمته على الجزء الأكبر من العالم القديم، خاصة من بداية القرن السادس عشر إثر سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢، ومحاكم التفتيش تفعل أفاعيلها في المسلمين؛ فقد أُحرقت أكثر من خمسة آلاف من الكتب العربية في غرناطة على يد قس كاثوليكي عُرِف بعدائه الصريح للإسلام والمسلمين، هو الكردينال جيمونيز دى سيسنيروس (ت ١٥١٧ Francisco Jiménez de Cisneros)، في ساحة باب الرملة العام (Puerta de Bib Rambla)، بل إنه في سنة ١٥٦٧، فُرِض على من بقي على استحياء من مسلمي إسبانيا ألا يتكلموا العربية، أو يكتبوا بها في غرض من أغراضهم، وأن تسلّم ما بقي عندهم من كتب مكتوبة باللغة العربية للسلطات لبحثها، فإن وجد ما فيها ما يعتبره سلطات محاكم التفتيش مخالفاً، وغالبا هو كذلك، حُكِم عليها أن تلقى في النار في مشهد عام.١ ومن الناحية الأخرى أصدر بعض فقهاء المسلمين فتوى ألا تباع الكتب الإسلامية لغير المسلمين. فقد حذر القاضي ابن عبدون الأندلسي، من القرن الحادي عشر الميلادي، وأفتى بأن لا يجوز للمسلم أن يبيع كتبا ذات طابع علمي لليهود أو النصارى. والسبب في ذلك ما كان يفعله المترجمون، بأنهم كانوا يترجمون هذه الكتب وينسبونها إلى كُهّانهم، وإلى مَنْ هم من بني جلدتهم الدينية أو الجغرافية، بينما هي في حقيقة أمرها من ممتلكات المسلمين الفكرية.٢ . ولأنهم لم يستطيعوا أن يجتثوا اللغة العربية من فوق الأرض بالكلية عمدوا إلى ما عرف بنَصْرَنَتها (de-Islamization) في كل حقول المعرفة بما في ذلك النحو العربي؛ فقد حاول مؤلفو النحو العربي الأوربيون الذين انتابهم عزوف عن استخدام أي مصطلحات أو أمثلة أو حتى أسماء عربية حاولوا بها توضيح بناء الجملة العربية مستوحاة من القرآن أو الشعر العربي، فاستعملوا بطرس وبولس بدلا من زيد وعمرو. حتى عندما كانوا يجدون أنفسهم أنه لا مناص من اقتباس آية من كتاب الله يضعونها كما هي دون شرح أو ترجمة حتى لا يفهم طلابهم معناها، ثم يذهبون إلى الإنجيل بحثاً عن مرادف للمعنى الذي جاء في القرآن.٣ كما أن حرب الثلاثين عاماً في النصف الأول من القرن السابع عشر، والتي ابتليت بها معظم الدول الأوروبية كان لها عاملها في إصابة أوروبا بعدم اكتراث للعلم والعلوم والعلماء. أضف إلى ذلك أن جراح الحملات الصليبية لم تندمل بعد ولا تزال معبأةً بالقيح والصديد، الأمر الذي جعل كل عالم يشعر بالتقزز تجاه العالم الآخر. وكان حصار العثمانيين لفيينا في سنة ١٥٢٩، ثم سنة ١٥٣٢، أيضاً من العوامل التي ساعدت على اتساع الهوة بين المسلمين والغرب المسيحي. وبالرغم من أن الملامسات الحربية بين المسلمين والغرب

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

لم تنقطع، خاصة على تخوم المجر، إلا أنها كانت من عوامل تجسير الهوة الفكرية أيضاً، حيث عمد الأوربيون ألا تشغلهم الحروب عن الاستيلاء على مخطوطات عربية وتركية متى سنحت لهم الفرصة. بل أيضا كان للأوربيين أنشطة قرصنة في البحر المتوسط، فكثيرا ما كانوا يستولون على مراكب بمن فيها، وكانوا يستغلون من عليها من سكان الشمال الإفريقي في قراءة المخطوطات وحل مسائل لغوية قابلوها.٤

عوامل تجسير الهوة الفكرية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي:

وفي المقابل كان هناك من يعمل على تجسير الهوة الفكرية بين الشرق والغرب غير عابئ بمن يوسعها؛ فقد ترجمت معاني القرآن لأول مرة إلى اللاتينية سنة ١١٤٣، ترجمه الفريق الذي شكّله بطرس المبجل الكلوني، الإسباني (ت ١١٥٦ Peter the Venerable)، ثم توالت الترجمات فظهرت طبعة كاملة للقرآن في فينيس سنة ١٥٣٧، تحت إشراف أليسندر بَجَنيني بجنينو (Alessandro Paganini and Paganino) بغرض الإتجار بها وتصديرها للإمبراطورية العثمانية، ولأنه رُصِد فيها كثير من الإخطاء لم ير أنها ذات فائدة فأُعْدِمتْ.٥ ثم ظهرت طبعة هولندا الأولى لمعاني القرآن سنة ١٦٤١، ثم نشرت ترجمة ثانية سنة ١٦٥٨، والتي أعيد طبعها سبع مرات في السنوات الثمانية التالية.٦ ومن الكتّاب الذين كان يهمهم ألا تنفصم عُرى التواصل العلمي بين المشرق والمغرب أدريان ريلاند (Adriaan ١٦٧٦-١٧١٨ Reland) الذي كتب كتاباً "في الديانة المحمدية" كما سماه وقد نُشر هذا الكتاب سنة ١٧٠٥، أماط فيه اللثام عن مزايا الإسلام كما نوّه عن صفات الله قائلاً:

ما كتبه المسلمون عن صفات الله مطابقا للحق، هذا قول يتفق مع العقل، ثم يتساءل مستنكراً: أينبؤونا هؤلاء القوم (يعني المسلمين) بأمور غاية في الإبداع والجمال عن الكمال الإلهي، ثم يقتضينا الأمر أن ننكر ما يقولون، ونطمس الحقائق الكبرى لدين الفطرة ودين الوحي؟!!.٧

وعلى المستوى البابوي، جدد البابا بندكيت الثالث عشر سنة ١٤١١، ما شُرِع فيه من قبل في مجلس فينّا بأنه يجب تدريس اللغة العربية في الجامعات الكبرى في أوروبا وخصوصاً جامعة بولونيا وسلامنكا وأكسفورد وباريس. لكن الكرسي الذي قرره البابا كان كرسياً ثلاثي اللغات، وعليه فإن الذي يعين لهذا الكرسي منوط به أن يدرّس ثلاثَ لغات هي العربية والعبرية والأرامية. وأنّى تجد من يجيدُ اللغات الثلاثة وقادر على تدريسها في آن واحد٨، فتعطل القرار. العجيب أن القرار لم يشمل جامعة ليدن في هولندا، ومع ذلك كانت خطواتها في تدريس العربية أسرع وأكثر عملية، فأقرت كرسياً لتدريس اللغة العربية سنة ١٦٠٣، ولم يجدوا من يشغله وظل شاغراً حتى جاء أمير الدراسات العربية في أوروبا توماس إربينيوس، واستقر الأمر عليه أن يدرس العربية فقط، في جامعة ليدن بدءاً من سنة ١٦١٣ حتى وفاته سنة ١٦٢٤، فكان ذلك من عوامل تجسير الهوّة الفكرية بين الشرق والغرب.

ومن عوامل تجسير الهوة الفكرية أيضا أنه بدأت طباعة الكتب العربية في مطبعة توبوجرافيا ميديشي، بإيطاليا، تحت إشراف جيوفاني باتيستا رايموندي (١٥٣٦-١٦١٤)، فوجود كتب عربية مطبوعة شجع كثيرا من الطلاب لقراءتها وتعليم العربية في أوروبا، خاصة في إيطاليا. ولم تكن مطبعة ميديشي هي الوحيدة في إيطاليا التي تبنت طباعة الكتب باللغة العربية بل تبعتها المطبعة الإعلامية (Propaganda Fide) التي أمر البابا جريجوري الخامس عشر (Gregory XV) بإنشائها سنة ١٦٢٢، وكانت تحت إشرافه مباشرة، وبدأت طباعة الكتب باللغة العربية جنباً إلى جنب مع اللغة اللاتينية في الغالب، والتي عرف عن إخراجها كتب ثنائية اللغة (polyglot printing press). وكانت جهود الطباعة هذه بمثابة بداية الدراسات الشرقية في إيطاليا.٩ احتفظت مكتبة الفاتيكان بكل ما أخرجته المطبعة من كتب عربية بل دأبت إلى الاستزادة من الكتب العربية خاصة ما طبع في إيطاليا منها. من ثمّ، راحت المكتبة تبحث عن خبراء في اللغة العربية لكي تستعين بهم في ترجمة الرسائل المكتوبة بالعربية والتعرف على بعض أسماء الأشخاص والأماكن التي ذكرت في الإنجيل.١٠

في سنة ١٥٨٧، أنشأت الكلية المارونية بقرار من البابا جريجوري الثالث عشر، فكانت واحدة من أهم المعاهد لتدريس العربية في أوروبا.١١ وفي سنة ١٦١٠، دعم البابا بول الخامس بقوة إيجاد كرسي لدراسة اللغات الشرقية، ومنها العربية، بل كانت دراستها إجبارية لطلبة اللاهوت.١٢ حماس البابا بول الخامس وتأثير مطبعة ميديشي ومديرها ريموندي دفع كاراشيوليني لكي ينشئ كلية روما

للغات الشرقية لتدريس العبرية والعربية والسريانية والفارسية. وبالرغم من كثرة هذا النوع من المدارس لم تكن محل جذب للطلاب؛ إذ تراوح عددهم ما بين اثني عشر وخمسة وعشرين طالبا، تتراوح أعمارهم ما بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين عاما.١٣ بعض الخريجين في هذه المدارس عملوا مدرسين للغة العربية وبعضهم تبوأ مكانة لا بأس بها في المجتمع الإيطالي، مثل بارتولوميو دي بيتورانو (Bartolomeo da Pettorano)١٤، والذي أحل محل أبراهام إيكشيلينسيس(ت ١٦٦٤Ecchellensis Abraham) ليدرس العربية في جامعة لى سبانزا ومترجما في مكتب البابا.

من العوامل التي ساعدت على تجسير الهوة الفكرية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي ظهور كتاب باللغة العربية سنة ١٦٤٩ تحت عنوان (Considerationes ad Mohammettanos cum ...)، والذي احتوى على فصل بعنوان القرآن لا يتعارض مع الإنجيل. لكن هذا الكتاب لم يكتب له الذيوع وكان الذين دعّموا محاكمَ التفتيش من الإيطاليين هم الذين وقفوا في سبيل انتشاره وذيوعه.١٥ في مثل هذا المناخ الضبابي في أوروبا بين من يريد التواصل مع الشرق ومن يريد قطع عرى ما تبقى من روابط علمية، وصلات ثقافية، ظهرت ثلة من الأساتذة الذين أرادوا أن يبقوا على شعرة معاوية مع الشرق، فتعهدوها وحافظوا عليها، وكان أساتذة اللغة العربية هم في طليعة هؤلاء الأساتذة.

أوائل الأساتذة الذين درّسوا العربية:

هناك جيلان من المستشرقين اهتموا بدارسة اللغة العربية، فمن أساتذة الجيل الأول:

المطران أجيديو الفيتروبي (ت ١٤٩٠Cardinal Egidio of Viterbo)، وأندريا الباجو (ت ١٥٢٠ Andrea Alpago)، تيسيو أمبروجيو (ت ١٥٤٠ (Teseo Ambrogio)، ثيودور بوكمان (ت ١٥٦٤Theodor Buchmann أو Bibliander (Theodorus)، نيكولاس كليناردوس (ت ١٥٤٢ Nicolas Clenardus). وكان لجوليوم بوستيل (ت ١٥٨١ Guillaume Postel) أهمية خاصة في تعليم اللغة العربية في الجامعات الأوربية.

فبأمر من فرانسوا الأول (François Ier)، ملك فرنسا (١٥١٥-١٥٥٧)، سنة ١٥٣٠، نتيجة لما أشار إليه غيوم بوديه (G. Bude)، المشرف على مكتبة الملك في المدة ما بين ١٤٤٣-١٥٣٨، أدخلت اللغات الشرقية على يد غوليوم بوستل (١٥١٠-١٥٨١)، لتدريسها في فرنسا. فهو يعد أول مستشرق فرنسي على الإطلاق.١٦ درّس العربية في كلية فرنسا (Le College de France) سنة ١٥٣٨. وقد كان بحق من أوائل أساتذة اللغة العربية الذين جسروا الهوة الفكرية بين الشرق والغرب.١٧ ثم دخلت العربية ثانية على يد أرنولد دى ليسل (Arnold deL'Isle) سنة ١٥٨٧، واستمرت كذلك حتى سنة ١٦١٣. كذلك تولى كرسي تدريس العربية في هذه الكلية بعد أن درسها وتخرج فيها أنطوان جالاند سنة ١٦٨٠ ,١٨

في إيطاليا، تولى جيوفاني باتيستا إليانو (١٥٣٠-Giovanni Battista ١٥٨٩ Eliano) في كلية رومانو (Collegio Romano) تدريس العربية وكذلك العبرية لكونه يهودي الأصل وعاش في مصر ثم اعتنق المسيحية. كذلك درّس في نفس الكلية الماروني بيتر ميتوسيتا (Peter Metoscita) مدة قبل أن يرسله البابا بول الخامس في مهمة دبلوماسية إلى بغداد.١٩ في سنة ١٤٨٤، عُين وليام ريموند المونكادي (William Raymond of Moncada) في جامعة كولونيا بإيطاليا ليدرس العربية والعبرية والكالدانية والإغريقية. في إيطاليا أيضا عُيّن ماركوس دوبيليو (Marcos Dobelio)، وهو من أصول كردية، ليدرّس العربية في جامعة لى سبانزا الإيطالية. ألف كتابا في النحو العربي من مائتين وخمسين وثلاث ورقات، في أوائل القرن السابع عشر، وجدت منه نسخة في جامعة غرناطة.٢٠ وفي إيطاليا أيضاً تبوأ المارونيون مكانة رفيعة في تعليم العربية في إيطاليا؛ فعين أبراهام أيكشيليسيس (Abraham Ecchellensis) سنة ١٦٣٦، ليدرس العربية في جامعة لى سابينزا (La Sapienza).٢١ وتحت ظروف ما أُلغي منهج العربية في السابينزا فانتقل أبراهام إلى فرنسا ليدرس العربية هناك حتى وفاته سنة ١٦٥٦. وبعد وفاته حلّ محلّه لودوفيكو ماراسي (Ludovico Marraci)، والذي ذاعت شهرته إثر ترجمته لمعاني القرآن وكتاباته عن الإسلام، خاصة كتابه تفنيد الإسلام. استمر ماراسي على رأس عمله حتى وفاته سنة ١٦٩٩ ,٢٢

في إسبانيا، أُنشِأتْ جامعة سلمنكا (شلمنقة Salamanca) سنة ١٢١٨، فهي من أعرق الجامعات في العالم، وتولي نوريا مارتين القشتالي (Nuria Martinez de Castilla Murioz) أمر تعليم اللغة العربية

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

فيها.٢٣ ثم انقطع الخبر عن تعليم اللغة العربية فيها، غير معلومات غير موثقة بأن مارتن مارتينز (Martin-١٥١٩ ١٥٧٩ Marinez) كان على دراية بالعربية فدرّسها على هامش شغله الأصلي وهو تدريس العبرية؛ حيث كان بها أكثر دراية من العربية، واستمر على هذا الحال حتى وفاته سنة ١٥٧٩. ورث هذا الكرسي بعده كريستوبال مادريجال (Cristobal Madrigal) سنة ١٥٨٠، واستمر عليه حتى سنة ١٥٩٢، ثم تنقطع المعلومات عن ما آل إليه مصير اللغة العربية في جامعة سلامنكا حتى حين،٢٤ إلى أن جاء هوزاي فهاردو (Jose Fajardo)، نائب عميد كلية الثالوث في جامعة سلامنكا فتولّى تدريس اللغة العربية فيها، إذ كان يُعطى حصة واحدة في اليوم الدراسي الواحد.٢٥ وفي جامعة قلعة النار (Alcala de Henares)، في إسبانيا أيضاً، تولّى دياجو دى أورّيا (Diego de Urrea-١٥٥٩ ١٦١٦) أمر تدريس اللغة العربية لأول مرة في هذه الجامعة. لكنه وبسبب أنه أوكلت إليه مهام أخرى، لم يستطع أن يقوم بتدريس اللغة العربية إلا أساسياتها.٢٦

في هولندا، كان فرانسيسكوس رافلنخيوس (Franciscus ١٥٣٩-١٥٩٧ Raphelengius)، أول من درّس اللغة العربية هناك، وكان ذلك في سنة ١٥٨٥، بعد تسع سنين من إنشاء جامعة ليدن.٢٧ ثم توماس إربينيوس والذي سنتحدث عنه بالتفصيل لاحقا.

وفي بريطانيا، ظهر وليام بدويل (William Bedwell ١٥٦٣-١٦٣٢)،٢٨ شيخ الدراسات العربية في بريطانيا. تخرّج في جامعة كمبردج وكان مغرماً باللغة العربية فتعلمها، ويبدو أنه كان معلم نفسه. تتلمذ له اثنين من أساطين العربية في أوروبا هما: إدوارد بوكوك وتوماس إربينيوس.٢٩ أهداه توماس إربينيوس واحداً من كتبه، قال في إهدائه: إلى أكثر العلماء علما، السيد وليام بدويل، أنت أكثر الناس غرسا للغة العربية.٣٠ كانت دعوة بيدويل في تعلم العربية تستند على أنها لغة عالم كبير من الناس. كان يستغل أي فرصة تُتاح له ليتعلم العربية من الناطقين بها، وقد فعل عندما أرسل ملك المغرب أحمد منصور وفداً تفاوضياً للملكة اليزابيث الأولى سنة ١٦٠٠، تقابل بيدويل مع الوفد وتبادل مع أعضائه المعارف العربية.٣١ ثم عَيّنَ وليامُ لود (William Laud)، رئيس جامعة أكسفورد، إدواردَ بوكوك (Edward Pococke)، سنة ١٦٣٠، ليكون أول أستاذ للغة العربية في جامعة أكسفورد ليشغل كرسي الدراسات العربية سنة ١٦٣٦، وقد حمل هذا الكرسي اسم لود إلى اليوم. تتلمذ بوكوك لاثنين من أساتذة اللغة العربية هما ماتيثياس باسور (ت ١٦٥٨ Matthias Pasor)، مستشرق ألماني هاجر إلى بريطانيا، ووليام بِيدْويل، متقدم الذكر.٣٢ العجيب أن اللغة العربية شبت وترعرعت في كنف رجال الدين، وها هو كل من بوكوك ومن قبله بدويل هما اللذان دعوا إلى تعلم اللغة العربية وكلاهما كانا من رجال الدين.٣٣ اقتنى بوكوك في مكتبته الخاصة أكثر من أربعمائة كتاب في هيئة مخطوطات مكتوبة باللغات الشرقية.٣٤ من إسهاماته في تجسير الهوّة الفكرية بين الشرق والغرب أن صحح مفاهيم مغلوطة كثيرة عن المسلمين عند الغرب من خلال كتابه: ملاحظات على التاريخ العربي (Specimen historiae arabum) الذي نشره سنة ١٦٥٠. يتساءل في سخرية في كتابه هذا: من أين جاء شعبنا بقصة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد أغلق عليه صندوق من حديد وقد علق في الفضاء بقوة مغناطيسية؟ ظل هذا الكتاب واحداً من أكثر الأعمال التي كان لها تأثير إيجابي في المجتمعات الغربية عن العرب والمسلمين، حيث رجع في تأليفه إلى أكثر من سبعين مؤلفاً عربياً، من هنا بدا موثقا توثيقا جيداً في أعين الأكاديميين الغرب. بدأ عمله في العاشر من أغسطس سنة ١٦٣٦. وكان الدرس الأول أمثالاً معزوة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. لكنه واجه مشكلة الكتاب المقرر فاستعان بكتب إربينيوس ليدرسها لطلبته في أكسفورد، وكان تلميذه جوليوس قد أعاد نشرها بعد أن نقحها وأضاف عليها، فجلبت له من ليدن.٣٥ ترجم بوكوك لمؤرخين نصارى عرب، فترجم كتاب تاريخ الدول لابن العنبري (ت ٦٨٥/ ١٢٨٦) إلى اللاتينية سنة ١٦٦٠ ليكون أول كتاب مطبوع باللغة العربية يصدر عن جامعة أكسفورد، ثم ترجم تاريخ ابن البطريق (Eutychius of Alexandria ٣٢٠/٩٤٠) بطريرق كنيسة الإسكندرية.٣٦

في كمبردج، عُيّن إبراهام ويلوك (Abraham Weelocke) ليشغل كرسي سير توماس آدمز٣٧ لتدريس اللغة العربية في كمبردج سنة ١٦٣٢، وقد كان يشغل منصب أمين مكتبة جامعة كمبردج قبل أن ينتقل ليدرس اللغة العربية فيها.٣٨ ومن الأساتذة الأوائل الذين اهتموا ودرسوا اللغة العربية جوسيف سكاليجر (ت Joseph Scaliger١٦٠٩)٣٩ واسحق

كاسبون (Isaac Casaubon).٤٠

أما الجيل الثاني من المهتمين باللغة العربية ودرسوها فيأتي أمير الدارسين الأوربيين للعربية توماس إربينيوس (ت ١٦٢٥Thomas Erpenius) على رأسهم، تتلمذ في لندن ليد وليام بيدويل.٤١ كان هو معلم إربينيوس الأول، وقد أعاره كثيرا من أوراقه في تعلم العربية، وقد وُجِدت هذه الأوراق عند إربينيوس في وقت لاحق وعليها تعليقاته مثنيا على أستاذه بيدويل.٤٢ أما من أتى بعد إربينيوس فكان تلميذه جيكوب خوليوس (١٠٠٥- ١٠٧٨ هـ/١٥٩٦-١٦٦٧ م Jacob Golius)، الذي ورث كرسي أستاذه إربينيوس في جامعة ليدن سنة ١٦٢٥. أصدر خوليوس أول معجم لاتيني-عربي وقد ظل يُستعمل حتى منتصف القرن التاسع عشر. غير أنه لم يكمل المسيرة مع اللغة العربية؛ إذ تحول ليدرّس الرياضيات، فتولاها يوهانس هيمان (Johannes ١٦٦٧-١٧٣٧ Heyman)، الذي كان يجيد التركية أكثر من العربية٤٣، لكنه لم يكن نشطاً مثل سابقَيْه، فلم تكن إسهاماته أكثر من أنه كتب فهرساً لمجموعة المخطوطات المحفوظة بجامعة ليدن. ثم عين ألبرت سخولتنس (Albert Schultens) سنة ١٧٢٩، فاستعادت الدراسات العربية شيئا من عافيتها في هولندا.٤٤

كتب تدريس العربية في أوروبا:

منذ ١٤١١، وهي السنة التي جدّد فيها البابا بندكت الثالث عشر الحاجة إلى تدريس العربية، حتى سنة ١٥٩٢، اقتصر تدريس العربية على الدين المسيحي الذي أُستوحيت مادته من الكتب الدينية المسيحية خاصة الإنجيل، والنحو وخاصة الآجرّومية، والمفصل للزمخشري، وكتاب الجمل في النحو للزجاج وهذه المجموعة من أوائل كتب النحو التي طبعت ودرّست في أوروبا. وبعد إنشاء مطبعة ميديشي سنة ١٥٩٢، طبعت كتب النحو أكثر من ذي قبل؛ فطُبع كتاب الكافية لابن الحاجب، وكتاب التصريف للزنجاني، ثم طبع من القرآن سورة يوسف تحت رعاية بيتر كريستن (ت ١٦٤٠ Petrus Kirstenius)٤٥ لغرض التدريس فحسب.٤٦ أضف إلى ذلك كتاب المفصل في النحو للزجاجي، وقد تضمنت الآجرومية معظم مادته. أيضا كانت المزامير متاحة، وكذا الإنجيل في طبعته العربية. واستمر الحال على هذا النحو حتى منتصف القرن السابع عشر. ففي سنة ١٦٢٤، عندما سافر جيكوب جوليوس، تلميذ إربينيوس، إلى المغرب لكي يحصل على كتب من هناك لكن خاب سعيه إلا عن كتاب معجم بيوجرافي عن أعلام ابن خلدون أهداه إليه أحمد بن قاسم الحاجري، وقد كان صديقا لأستاذه إربنيوس إبان إقامتهما في فرنسا.٤٧

مؤهلات أستاذ اللغة العربية في أوروبا:

لم يُطلب من أستاذ اللغة العربية أكثر من أن تكون لغته الأولى هي اللغة العربية، ويستحب أن يكون من مسيحي الشرق من أمثال يوسف أبو دقن القبطي المصري،٤٨ وسليمان نيجري الدمشقي (ت ١٧٢٧ Soloman Negri)،٤٩ والموارنة. ومن دراستنا عن إربينيوس نعلم أنه تعلم العربية على يد الكثير كان من بينهم اثنين أحدهما مصري يقال له أبو ذقن (Abudacnus)، كان لتعليمة العامية المصرية أقرب منه إلى الفصحى٥٠، والأخر مغربي كان كاتباً في بعثة المغرب إلى هولندا يسمى عبد العزيز بن محمد. بالإضافة إلى تاجر مغربي يدعى أحمد بن قاسم الحاجري الأندلسي. لكن تدريسهم له العربية كانت بمثابة الدروس الخصوصية التي تعطى اليوم. وصفها جونز بأنها لا تعدو أن تكون نصائح باستثناء عبد العزيز بن محمد.٥١ بل إنهم كانوا يستعينون بمن يعرف العربية من منطلق عمله؛ فقد عُين جان ثيونيسز (Jan Theunisz-١٥٦٩ ١٦٣٧) ليدرّس العربية في جامعة ليدن لإلمامه بها بحكم أنه كان يعمل في المطبعة العربية التي كان يمتلكها فرانسيسكوس رافيلينجيوس في ليدن.٥٢

كيف يختار أستاذ العربية؟

لدينا أمثلة ضئيلة لتلقي الضوء على كيفية اختيار أستاذ العربية في أوروبا، وما يدور معهم في أثناء المقابلة لاختيار المتقدم للوظيفة. ففي سلامنكا، كان يُعطَى المتقدم نصين لترجمتهما أمام لجنة التعيين، والتي كانت تتكون عادة من مجلس أمناء الجامعة. أحد النصين مأخوذ من الفصل الثاني من إنجيل يحيى (يوحنا) بالعربية لكي يترجمه المتقدم إلى اللاتينية، والنص الآخر نص مكتوب باللغة الإسبانية لكي يترجمه المتقدم إلى العربية، وغالباً ما يأتي المتقدم للمقابلة بالنصين معه.٥٣ ولأن المتقدمين، أو حتى الطلاب، كانوا عادة رجال دين أو في طريقهم لدراسة اللاهوت فكان هذا النوع من الامتحان يسيراً عليهم. من ذلك نستطيع القول إذن إنه كان هناك كتب عربية كانت تتداولها

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الأيدي في إسبانيا حتى إبان عنفوان محاكم التفتيش. ومن العجب العجاب أن المتقدم لم يكن يسمح له أن يقرأ شيئًا من القرآن ويترجم معانيه ليثبت مدى إلمامه باللغة العربية التي سيوكل إليه تدريسها. والقرآن كان متاحاً منذ ١٤٦٢، في لغته العربية جنبا إلى جنب مع ترجمة معانيه إلى اللاتينية والقشتالية اللغات الثلاثة بين دفتي كتاب واحد.٥٤ قارن ذلك بما فعله توماس إربينوس في جامعة ليدن.

توماس إربينيوس (١٥٨٤-١٦٢٤Thomas Erpenius)؛ أمير مستعربي أوروبا

كان لتوماس إربينيوس باع طويل في رأب الصدع الثقافي وتجسير الهوة الفكرية بين الشرق والغرب؛ فقد شغل كرسي خصص لتعليم اللغة العربية في جامعة ليدن في هولندا، وغيّر فلسفة تعليم اللغة العربية في أوروبا، وجدد لها شبابها عن طريق الكتب التي طبعها باللغة العربية فأتاح الكتاب الجامعي لتعليم العربية، وغيّر مفهوم الغرب البروتستانتي عن العرب والمسلمين عن طريق ما ترجمه من كتب عربية إلى اللاتينية في الأدب والتاريخ.

تخرج توماس إربينيوس في جامعة ليدن عام ١٦٠٨,٥٥ ثم انتقل الى باريس سنة ١٦٠٩، ليكمل دراسة العربية، وكذا الحال مع جل البروتستانت الذين كانوا يسلكون طريقا يلتمسون فيه علوم العربية؛ إذ عادة ما يذهبون إلى الكاثوليك ليعلموهم اللغة العربية.٥٦ رحل إربينيوس إلى مدن عدة لدراسة لغة واحدة هي العربية بينما رحل إلى مدينة واحدة لدراسة عدة لغات. شد رحاله في طلب علوم العربية إلى كمبردج، وأكسفورد، بإنجلترا، وباريس وساومور في فرنسا، وهايدلبرج بالمانيا. ثم ذهب بعد ذلك إلى فينيس لدراسة اللغات التركية والإثيوبية والفارسية.

تتلمذ إربينيوس في دراسة العربية ليد ثلاث عرب، وثلاث من علماء اللغات الشرقية الأوروبيين. أما العرب فهم يوسف أبو دقن قبطي مصري لم يعرف العربية الفصحى، وكل ما استفاده منه أنه استمع إليه يتحدث العامية المصرية. أما الثاني فهو أحمد بن قاسم الحاجري وهو تاجر مغربي قابله في فرنسا كان على علم بالعربية، تتلمذ ليديه لمدة أربعة شهور، ساعده في الانتهاء من كتاب النحو. أما الثالث فهو عبد العزيز بن محمد، كان مدة مرافقته قصيرة؛ إذ كان أحد البعثة المغربية في هولندا.

أما أساتذته الأوربيين فهم وليام بدويل وجوسيف سكاليجر، واسحق كاسابون، والثلاثة دأبوا على الإشراف عليه، خاصة كاسابون، إبان دارسة العربية والتأليف فيها والترجمة منها إلى اللاتينية من ١٦٠٨- ١٦١٢. لم يتضح أنه حصل على شهادة، لكن توصيات أساتذته التي كتبوها له قامت له مقام الإجازة عند المسلمين. فعندما عاد إلى ليدن بهولندا سنة ١٦١٢، عاد وبيده ثلاث توصيات من أساطين العربية في أوروبا في ذلك الوقت هم: هينسيوس٥٧، وكاسابون، وسكاليجر، يزكونه لكي يكون أستاذا فوق العادة للغة العربية في ليدن.٥٨ وعندما عاد إربينيوس سنة ١٦١٢ بعد غياب أربع سنوات بين بريطانيا وفرنسا ليتعلم العربية، وجد كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن قد شُغِل. شغله يوهانيس أنثونيدس (Johannes Anthonides)٥٩ وبذا يكون يوهانس أول من شغل كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن، ولكن لفترة قصيرة لم تتعد العام الواحد. وبعدها تسلم إربينيوس كرسي اللغة العربية في ليدن ليشرع في تنفيذ رؤيته في تدريس اللغة العربية لطلابه، والتي تلخصت في صب اللغة العربية في قالب كلاسيكي، ثم يترجم النص العربي إلى اللاتيني حتى تعُم الفائدة للطلاب.٦٠ بمعنى أنه لم يضعٌ بالنص العربي الرصين بل قدمه كما كان مكتوبا بحروف عربية، ولكي ييسر فهمه واستيعابه على طلبته ترجم النص العربي إلى اللغة اللاتينية.

وبتولّي إربينيوس كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن، اجتمعت على يديه الضرورات الثلاثة لتدريس اللغة العربية: كرسي لتدريس اللغة العربية، وأستاذ للغة العربية، وكتب دراسية مقررة لتدريس اللغة العربية، والثلاثة كانوا في جامعة ليدن٦١ في هولندا سنة ١٦١٣، ولم يكونوا في جامعة في أوروبا كلها سواها. نقل إربينيوس اللغة العربية من كونها مادة تدرس على نحو الدروس الخصوصية كما نعرفها اليوم، إلى قاعات المحاضرات الجامعية، وأعيد النظر في تعيين الأستاذ الذي يدرس اللغة العربية؛ فلم يعد يكفي أن تكون لغته الأولى هي اللغة العربية، بل عليه أن يكون قد بلغ شأوا كبير فيها: دراسة ثم تأليفا وترجمة ونشرا، وبهذا يكون توماس إربينيوس قد أعاد إلى اللغة العربية احترامها ووقارها بين اللغات في أوروبا.

كتابا توماس إربينيوس في النحو والأمثال:

بلغ اهتمام توماس إربينيوس باللغة العربية أن اقتنى مطبعة خاصة في بيته، وحمل على عاتقه، وهو الأستاذ الجامعي، أن يعمل بنفسه على طباعة الكتب التي يريد أن يقررها على طلابه، ولم يكن ذاك معروفاً من قبل.٦٢ قرأ القرآن الذي أهداه إياه اسحق كواسبون أربع مرات. وفي كل مرة كان يستقي منه القواعد النحوية.٦٣ أدرك أهمية النحو في بناء الجملة، فكان أول كتاب له يؤلفه ويطبعه ويقرره على طلابه هو كتابه في النحو. أخذ مادته من الآجرّومية، ومن القرآن الكريم. وقد أشرف عليه في كتابته، وإن كان عن بعد، أستاذه الفرنسي إسحق كاسبون.٦٤ حتى أضحت لديه مادة تكفي لنشر كتابه الأول، والذي أثبت فيه جدارته في البحث والتأليف وعلى تمكنه من تدريس اللغة العربية. نشر النحو العربي (Grammatica Arabica) سنة ١٦١٣، بعد أن عكف على عمله هذا ثلاث سنين، يهذبه وينقحه، بعد أن تخلص من كثير من المصطلحات النحوية، وييسره لطلابه، خصيصا لأولئك الذين نشأوا في التعليم في كنف اللغة اللاتينية. أصدره مطبوعا بحروف عربية، ومترجماً إلى اللاتينية في ليدن، على غير مثال سابق من الجودة والإتقان في أوروبا، فاستعمله الأوربيون أكثر من مائتين وثلاثين عاماً.٦٥ على نحو لم يسبق له مثيل. كان كتاب إربينوس في النحو مثالاً جيداً لكتاب مدرسي في النحو العربي، احتذاه كثير ممن أتوا بعده، وخاصة أنه تجاوز عرْض الأمثلة التي تحتوي على تعبيرات لاهوتية، الأمر الذي جعل الكنيسة الكاثوليكية تقابله بترحاب شديد، لدرجة أنه كان الكتاب المعتمد لتدريس العربية حتى سنة ١٨٢٩، حتى أعادت المؤسسة الإعلامية للبابا إخراجه وإعادة النظر في مادته.٦٦ بل احتذاه أولئك الذين كتبوا في النحو العربي، ليس للطلاب، وإنما للتجار الذين يتاجرون مع الشرق، وبخاصة تجار الشركة الشرقي للهند.٦٧

وبناءً على نصيحة من أستاذه جوسيف سكاليجر لمعرفة بعض القيم التي تدين بها الشعوب العربية، ترجم توماس إربينيوس مجموعة من الأمثال العربية التي استقاها دون أن يعرف مصدرها. وبعد تدقيق اتضح أنها لأبي عبيدة القاسم ابن سلام (ت ٨٣٩)، صاحب كتاب الأموال. بلغ مجموع هذا الأمثال نحو مائتين مثل. نشرها في ليدن تحت عنوان الأمثال العربية (Proverbiorum Arabicorum)، وقامت بطباعتها رافيلينجيانا (Raphelengiana) سنة ١٦١٤ باللغتين اللاتينية والعربية جنبا إلى جنب.٦٨ اتخذ إربنييوس هذه الأمثال لتكون مادة تعليمية للثقافة العربية. ثم أصبحت بعد زمن مثار نقاش في أوروبا بداية من منتصف القرن السابع عشر.٦٩ أتخذها يوهان هينريك هوتينجر (ت ١٦٦٧ Johann Heinrich Hottinger)، عالم سويسري بروتستانتي، ليغيظ بها الكاثوليك.٧٠ ظلت كتب إربينيوس تدرس ليس فقط في هولندا بل في أوروبا كلها، وأصبحت هي المعيار الذي يقاس عليه جودة الكتب العربية المقررة في الجامعات الأوروبية.

سوّق إربينيوس لتعلم اللغة العربية في أوروبا. حث طلابه على تعليم اللغة العربية بقوله: "لم يعد لكم عذر عن أن تتعلموا اللغة العربية كما كان في سابق الأيام؛ حيث كنا نعاني من نقص في الكتب المدرسية لتدريس اللغة العربية، ومن الشخص المؤهل الذي يمكن أن يقوم بتدريس هذه الكتب".٧١ وفي خطاب له في طلابه بجامعة ليدن، فند إربينيوس مزاعم الغرب من أن اللغة العربية لغة يصعب تعلّمها وهي غير ذات نفع للأوربيين. تحدث بحماس من القلب، وبين أن المشكلة ليست في اللغة وطبيعتها الصعبة، وإنما أساس المشكلة هو غياب الكتاب الجامعي في النحو، وغياب المدرس وغياب النص الذي يدرس.٧٢ هكذا بسط إربينيوس مسألة تعليم اللغة العربية في أوروبا وما يحوم حولها من صعوبات. وإذا افترضنا أنه يجب أن يكون لأي فرع من فروع المعرفة قسم، وأستاذ، وكتب مقررة حتى يُعْتَرف بهذا القسم ويكون مخولا أن يمنح شهادة معتمدة لدارسيه، فإن ذلك لم يحدث للغة العربية في أي جامعة في أوروبا قبل سنة ١٦٠٠. وأول كرسيّ لتدريس العربية في جامعة أوروبية كان في ليدن سنة ١٦٠٣، لكنه ظل شاغراً عشر سنوات حتى تم تعيين توماس سنة ١٦١٣، الذي عكف على تأليف الكتب المقررة لتعليم العربية ونشرها. ومن هنا نستطيع القول بإن اللغة العربية بلغت دور النضج، أو قاربت، في أوروبا على يد توماس إربينيوس ليساهم بجهوده هذه بتجسير الهوة الفكرية بين الشرق والغرب.

كتب إربينيوس:

من الكتب التي طبعها توماس إربينيوس وعاشت تجالد الزمان لأكثر من أربعمائة عام هي:

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

- سورة يوسف وتهجي العربي = Historia Iosephi patriarchae ex Alcorano Arabice، cum triplici versione Latina، & scholijs Thomae Erpenii، cujus & alphabetum Arabicum praemittitur. (Leiden: Ex typographia Erpeniana، linguarum orientalium، ١٦١٧). p [١٤٤]
- Th. Erpenius. Grammatica Arabica. Leidae، Ex Typographia Erpeniana، Linguarum Orientalium. ١٦١٧.
- Psalmi Davids. Regis & Prophera. Linua Syriaca، Ex Tyypographia Erpeniana Linguarum، Orientalium، Anno Dom. ١٦٢٥.
- الشيخ المكين جرجس بن العميد، تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية، Idest Historica Sarasanica، Qua Res Gestae Muslimorum، ... Gerogio Elmacino ... et Laine Reddita ... Thomae Erpenii. : Lugdani Batrurum، et Typographia Erpenina lingurum Orientalium، ١٦٢٥.
- مائة العامل
- Oratio de linguae Arabicae praestantia & dignitate: dicta in illustri Batavorum academia mense Maio MD. CXlII: cum ejus linguae، & aliarum Orientalium professionem auspicaretur، (Leiden: In typographia auctoris ١٦١٣).
- Annotationes in lexicon Arabicum Francisici Raphelengii (Leiden: Ex Officina Auctoris، ١٦١٣).
- كتاب الأمثال، Seu Proverbiorum Arabicorum centuriae duae: ab anonymo quodam Arabe collectae & explicatae، cum interpretatione Latina & scholiis Iosephi Scaligeri et Thomae Erpenii (Leiden: in Officina Raphelengiana، ١٦١٤. Second edition in ١٦٢٣.
- أمثال لقمان الحكيم = Locnlani Sapientis Fabulae et selecta quaedam Arabum adagia، cum interpretatione Latina et notis Thomae Erpenii (Leiden: in Typographia Erpeniana linguarum orientalium، ١٦١٥). Later reprinted with the Grammatica Arabica (١٦٣٦).
- العهد الجديد لربنا يوسع المسيح باللغة العربية = Novum D.N. Iesu Christi Testamentum arabice: ex Bibliothecae Leidensi، edente Thoma Erpenio (Leiden: In Typographia Erpeniana linguarum orientalium، ١٦١٦.
- كتاب الآجرّومية ومائة العامل = Grammatica Arabica dicta Gjarumia; & Libellus centum regentium، cum triplici versione Latina & commentarijs Thomae Erpenii (Leiden: Ex typographia Erpeniana linguarum orientalium، ١٦١٧). [٨]، ١٥٧، [٣] p. Reprinted in ١٦٣٦.
- Canones de literarum Evi apud Arabes natura et permutatione (Leiden)، ١٦١٨

أن يبحث المرء، على ندرة من المصادر، ويؤلّف ويصُفّ الحروف في المطبعة بنفسه ويطبع باللغتين العربية واللاتينية، ثم يدفع ما صار بيده إلى طلابه ليتدارسوه في حلقات الدرس في أروقة جامعة ليدن، عملٌ لا شك شاق ومجهود جبار، لا أظن أن هناك من فَرَى فَرْيَهُ في سبيل العربية وتدريسها في جامعات أوروبا. غير أن أكثر أعمال أمير المستعربين الأوروبيين إسهاما في تجسير الهوة الفكرية بين مسلمي الشرق ومسيحي الغرب تكمن في إخراجه تاريخ المكين إلى النور.

كتب جرجس ابن العميد المعروف بالمكين (٦٠٢-٦٧٢)، مؤرخ قبطي مصري، كتاباً في حقل التاريخ، أسماه المجموع المبارك.

خصص للجزء الثاني منه عنوان: تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد صلى الله عليه وسلم، حتى الدولة الأتابكية. استقى مادته من تاريخ الطبري، بعد أن حذف الإسناد، وعندما انتهى من الطبري عرج على الكامل لابن الأثير، وهما من التواريخ المعتمدة عند جمهور المسلمين المشهود لها بصدق رواياتها. فعرف المكين بصنيعه هذا عند البعض بطبري النصارى.٧٣ عمد توماس إربينيوس إلى هذا العمل فترجمه إلى اللاتينية تحت عنوان (Historica Sarasanica)، ثم طبعه في مطبعته في بيته، ولم يمهله الطاعون

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

فتوفي قبيل اكتماله سنة ١٦٢٤، فأتمّه له تلميذه الوفيّ جيكوب جوليوس ونشره سنة ١٦٢٥,٧٤ فكان أول كتاب يخرج مطبوعا إلى النور في حقل التأريخ الإسلامي باللغة العربية؛ فتلقفته أيدي المستشرقين الأوربيين بنهم. ومن بين الذين تدارسوه واهتموا به صمويل برتش (١٥٧٥-١٦٢٦ Samuel Purchas).

وبرتش كاتب ورحالة بريطاني، كان يُخرج بين الفينة والفينة طبعة جديدة من كتابه الذي أسماه الحج أو (The Pilgrimage)، فترجمه إلى الإنجليزية ونشره ضمن كتابه في طبعته الجديدة سنة ١٦٢٦، فكان أول كتاب يخرج باللغة الإنجليزية في حقل التاريخ الإسلامي على الإطلاق.٧٥ وبذا يكون قد ساهم الثلاثة: المكين ابن العميد، وتوماس إربينيوس، وصامويل برتش في إتاحة مادة تاريخية موثوق بها عن تاريخ المسلمين من ظهور الإسلام حتى دولة المماليك باللغة العربية، واللاتينية، والإنجليزية، وكانوا من قبل يعتمدون على المغرضين من مؤرخي الدولة البيزنطية الذين لا يُتوقَّع منهم أن يقولوا كلمة إنصاف في حق الدولة المسلمة التي كسرت شوكتهم، وأسقطت امبراطوريتهم. كان من بين الذين اعتمدوا عليه بغزارة لكي يكون مرجعهم إدوارد جيبون (ت ١٧٩٤)٧٦ في كتابه العظيم عن تاريخ سقوط الإمبراطورية الرومانية.

قوبل تاريخ المكين بقبول حسن عند الأكاديميين الأوربيين؛ ساعده على ذلك كون مؤلفه، المكين ابن العميد، مسيحيا شرقيا، استقى مادته من أكثر تواريخ المسلمين الموثوق بها، تاريخ الطبري.

الخاتمـــة:

وهكذا رأينا كيف أن عوامل عدة دفعت إلى اتساع الهوة الفكرية بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، وكيف تخبطت أوروبا في تعيين أساتذة لشغل كراسي اللغة العربية في جامعاتها، وعندما حدث ذلك انبرى ثلة من الأساتذة الأوربيين الذين أخذتهم حمية حبهم للغة العربية لتضييق تلك الهوة. كان أكثر هؤلاء الأساتذة حماسا توماس إربينيوس.

فبعد أن تخرج توماس إربينيوس من جامعة ليدن، نصحه أستاذة جوسيف سكاليجر أن يتعلم العربية. فقضى إربينوس أربع سنوات يطوف بين مدن عدة في أوروبا ليتعلم العربية على أيدي المتكلمين بها من العرب وغير العرب. حتى إذا اطمأن أساتذته لكفاءته لتدريسها، خاصة بعد أن انتهى من تأليفه كتابا في النحو العربي لم يسبق له مثيل في أوروبا كلها، بعثوا به إلى جامعته في هولندا برسائل توصية، يزكّونه لكي يدرّس العربية في جامعة ليدن، فشمر عن ساعديه واشترى مطبعة لطباعة الكتب باللغة العربية التي سيدرسها لطلابه، فطبع كتاباً في النحو، وكتاباً في الأمثال، وسورة يوسف، وتاريخ المكين، وغيرها. وهكذا لأول مرة في أوروبا تمتعت إحدى جامعاتها، في ليدن، بوجود كرسي للعربية، ووجود أستاذ للعربية، ووجود الكتاب العربي لتدريس اللغة العربية. وكان للكتب التي طبعها إربينيوس وترجمها إلى اللاتينية دور بارز في تجسير الهوة الفكرية بين الشرق والغرب، والتي نمت وترعرعت ولم تزل تنمو وتترعرع إلى اليوم بفضل أساتذة أم اللغات، اللغة العربية، وعلى رأسهم توماس إربينيوس الذي نال بحق يستحق عن جدارة أن يلقب أمير دارسي العربية في أوروبا.

الهوامش

١ هناك تقارير أن المسلمين استمر حالهم على ما كان من قبل ينسخون الكتب العربية ولكن بشكل سري للغاية. انظر:

Mercedes Garcia Arenal and F. Mediano, "Sacred History, Sacred Languages: The Question of Arabic in Early Modern Spain", in Jan Loop and A. Hamilton, The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe, Leiden: E. J. Brill, ٢٠١٧, p. ١٦٥-١٦٤.

٢ أشارت إلى هذا ماري دى الفيرني انظر:

Marie d'Alverny, "Translation and translator", in, Renaissance and Renewal in the Twelfth Century, ed. By Robert Benson and others, Toronto: University of Toronto Press, ١٩٩١, p. ٤٤٤.

ومن أمثلة ذلك أن نيكولاس كلينارد (Necolas Clenard) وهو فرنسي جاء إلى جامعة سلامنكا ليتعلم العربية. أنتهى من دارسة بعض المسائل النحوية وكذلك بعض المصطلحات العربية التي لها علاقة بالعلوم. لكن دفعته الحاجة إلى تعلم العربية إلى السفر إلى فاس بالمغرب، لكي يحاول يشتري

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

بعض الكتب العربية. مكث فيها خمسة عشر شهراً ولم يس تطع أن يبتاع أي كتب بالعربية. انظر:

Nuria Martines de Catilla Muioz. "The Teaching and Learning of Arabic in Salamanca in the Early Modern Period"، in Jan Loop and A. Hamilton. The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe. Leiden: E. J. Brill. ٢٠١٧. p. ١٨١-١٨٠.

٣ Aurelien Girard. "Teaching and Learning Arabic in Early Modern Rome: Shaping a Missionary Language"، in Jan Loop and A. Hamilton. The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe. Leiden: E. J. Brill. ٢٠١٧. p. ٢٠٧.

٤ من أمثلة هؤلاء الذين أسروا واقتيدوا إلى أوروبا وكان لهم دور علمي بارز الحسن بن محمد الوزان الزياتي الغرناطي أو الفاسي، عرف أيضا بـ" ليو الأفريقي أو يوحنا الأفريقي" (١٤٩٤-١٥٥٤) له كتاب وصف أفريقيا (Descrittione dell'Africa). انظر أيضا: Jones. p. ٦٣. أسير آخر هو درويش أبراهيم تركي كان أسير حرب، وكانت خدماته أنه كان ينسخ مخطوطات عربية، ومن أمثلة المخطوطات التي نسخها تاريخ المكين، بعد أن أعيرت إلى مكتبة البابوية من مكتبة بلاتين في هايدلبرج بألمانيا. كان ذلك نحو سنة ١٦٠٧. انظر: Jones. p. ٧٥.

٥ Brannon Wheeler. "Guillaume Postel and the Primordial Origins of the Middle East"، in the Method and Theory in the Study of Religion. Leiden: E. J. Brill. (٢٠١٢). p. ٣ (see the footnote). And see: ANGELA NUOVO. "A Lost Arabic Koran Rediscovered"، The Library. ٦th Series. Vol. ١٢. Issue ١، ٤ December ١٩٩٠.

٦ بروخمان، ص. ٢٧-٢٨.

٧ كان ذا عقل أنزع إلى الفلسفة من فقهاء اللغة في القرن السابع عشر: كان فيلسوفا ومتكلماً ولغويا وعالماً بالآثار وجغرافيا وصاحب خرائط وشاعراً موهوباً. كان ابن قسيس بروتستانتي يلم بعض الإلمام بالعبرية والسريانية والكلدانية والعربية. ولعه بالآداب الشرقية حمله على قبول كرسي اللغات الشرقية في أوترخت. وقد نشر كتاب الزرنوجي "تعليم المتعلم"، مع ترجمة لاتينية. انظر:

Rudi Paret. The Study of Arabic and Islam at German Universities. Viesbaden: Franz Steiner. ١٩٦٨، ٢.

راجع الترجمة الهولندية لكتاب "حي بن يقظان" لابن طفيل الأندلسي. قاده بحثه لكي يعتقد أن العبرية هي أم اللغات.ي. بروخمان وف. شرودر، الدراسات العربية في هولندا، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٧٥، ص.٢٧- ٢٨. ولا يزال هذا الكتاب يعطي انطباعاً جيدا عن الإسلام عند الأكاديميين. يقول عنه نورمان دانيال في كتابه: الإسلام والغرب، ١٩٦٠: إن هذا الكتاب هو حقا أهم كتاب بين عدة كتب ساعدت على استبعاد الأساطير وإحلال الحقائق والحقائق فقط محلها، بل ويمكن أن يدرس اليوم وتحقق وراء دراسته فائدة عظيمة.

٨ Loop. p. ١٧١.

٩ Aurelien Girard. "Teaching and Learning Arabic in early Modern Rome: Shaping a Missionary Language"، Loop and Hamilton. Teaching and learning Arabic in Early Modern Europe. Leiden: E. J. Brill. ٢٠١٧. p. ١٩١.

١٠ Girard. p. ١٩٣-١٩٢.

١١ Girard. p. ١٩١.

١٢ Girard. p. ١٩١.

١٣ Girard. p. ٢٠٠.

١٤ David Thomas. John A. Chesworth. ed. Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History. Leiden: E. J. Brill. ٢٠١٤. Vol. ٦. p. ٢٧٧.

١٥ Aurelien Girard. "Teaching and Learning Arabic in early Modern Rome: Shaping a Missionary Language"، Loop. p. ٢٠١.

١٦ ولد جوليوم بوستيل في نورماندي سنة ١٥١٠، كان لغويا أجاد العربية والعبرية والسريانية، بالإضافة إلى اللاتينية والإغريقية. إجادته لهذه اللغات هيأ له موقعا مرموقا في البلاط الفرنسي؛ حيث أرسله فرانسيس الأول، ملك فرنسا، سنة ١٥٣٦ ليكون المترجم الرسمي للبعثة الدبلوماسية التي أرسلها الملك إلى سليمان القانوني، سلطان الدولة العثمانية، ملتمسا تحالفه. أرسل مرة أخرى إلى المشرق الإسلامي ليجمع مخطوطات لضمها للمكتبة الملكية الفريسية إثراءً لها. سنة ١٥٤٣، نشر كتابه تحت عنوان

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

Alcorani seu legis Mahometi et Evangelistarum concordiae liber (The book of concord between the Coran and the Gospel) ينتقد فيه البروتستانينة ويوسمها بأنها تتفق مع الإسلام في مناح شتي. وهكذا يتخذ من دراسته للغة العربية سلاحا يهاجم به الأيديولوجية البروتستانتية.

﴿شأنه شأن الألماني الذي اعتمد على أمثال أربيوس ليهاجم الكاثوليك﴾. كان يعتقد بعالمية الإنسانية وأن الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام بنيت على أرضية مشتركة العقيدة، تقوم على حب الله وحب الإنسانية، إلا أن المسيحية من حيث هي دين خيرهم. نشر كتابا عن الدولة العثمانية بالفرنسية ضم آراءً إيجابية عنها. كان تسامحي الفكر نحو الآخر. عين في الكلية الملكية بفرنسا أستاذا للرياضيات والدراسات الشرقية، بعد عودته من رحلته إلى المشرق التي دامت ثلاث سنوات ١٥٤٨-١٥٥١. كان على خلاف مع محاكم التفتيش الإسبانية بسبب معاملتهم غير الإنسانية لمن خالفهم في الدين. بقرار من البرلمان الفرنسي، أتهم بوستيل بالزندقة فاقتيد إلى دير سانت مارتين مكبلا ليقضي الإحدى عشرة سنة من عمرة تحت الإقامة الجبرية، ليلقى حتفه سنة ١٥٨١.

١٧ جولوم بوستيل، ولد في نورماني، ثم انتقل إلى باريس، بفرنسا. عالم الفلك ويعد رائد الدراسات المقارنة الخاصة باللغات السامية متدين آمن بوحدة العالم. يعتبر هو أبو المستشرقين الفرنسيين. نشر أول أعماله في سنة ١٥٤٤ يحث فيه ملك فرنسا أن يقود حملة صليبية ضد الإمبراطورية العثمانية. حاول أن يرجم معاني القرآن كله لكنه لم ينهه. أول من نشر القرآن عربياً، وأول من نسخ سورة الفاتحة وترجم معانيها إلى اللاتينية ونشرها في كتابه النحو العربي في باريس سنة ١٥٣٩. وفي سنة ١٥٥٣ نشر دراسة مقارنة فيما وافق المسائل التوافق بين القرآن والإنجيل:

Alcorani seu legis Mahometi et Evangelistarum concordiae Liber [The book of the agreement between the Quran and the law of Mohammed and the Protestant]

كان يقتبس من القرآن كثيرا في كتاباته. أنظر:

Brannon Wheeler، Guillaume Postel and the Primordial Origins of the Middle East، Method and Theory in the Study of Religion، Leiden: E. J. Brill، (٢٠١٢)، p. ٣.

له تعليقات باللغة اللاتينية على مخطوطة عربية لكتاب الفلك لنصر الدين الطوسي (ت ١٢٧٤). له آراء غريبة؛ منها أنه كان يدعو إلى لغة عامة جديدة تفهمها كل الشعوب الأوروبية للحيلولة دون الحرب فيما بينها. أنظر المقداد، ٨٢، ويكيبيديا انظر:

Ina Baghdianitz McCabe، Orientalism in early modern France، p.٢٥. F. Secret، "Gullaume Postel et Les Etudes Arabes A La Renaissance"، Arabica، ١٩٦٢، Vol. ٩، No. ١، PP. ٣٦-٢١.

ولما رجع إلى فرنسا، جعل العلماء والأشراف ورجال الدين يترددون عليه ... وقد عينه الملك سنة ١٥٣٨ مدرسا للغات اليونانية والعربية والعبرانية، ووهبه منزلا ومزارع وخيلا. يذكر له ميله للإسلام ووقوفه على جسر ريالتو (Rialto) بالبندقية فينيسيا، واعظاً الناس، وهو يقول: ينبغي لكل إنسان أن يكون تابعا لدين صالح، ومعنى ذلك أن يكون له دين مؤلف من مميزات الأديان الأخرى لا سيما من الدين الإسلامي؛ ففيه من أجود الآراء وأحسنها. كتب كتابا في النحو العربي نشر في باريس سنة ١٥٤٣، ثم انتقل من فرنسا إلى أيطاليا ومنها إلى النمسا حيث عين سنة ١٥٥٢ مدرسا للعربية واليونانية في جامعة فيينا، ولم يطل به المقام غير ثلاثة شهور تركها وعاد إلى فرنسا. محمود المقداد، تعليم العربية في فرنسا، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٠، ص ص، ٧٦، ٨٢.

١٨ المقداد، ص. ٨٢. أنطوان غالاند (١٦٤٦ – ١٧١٥ Antoine Galland) هو مستشرق فرنسي. يشتهر بترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة، ظهرت في اثني عشر مجلداً من ١٧٠٤ إلى ١٧١٧، لكن قيل إنه أضاف بعض القصص التي لم تكن في النصوص الأصلية.

١٩ Girard، p ١٩٤.

٢٠ Mercedes Garcia Arnal and F. Midiano، The Orient in Spain: Converted Muslims، the Forged Lead Books of Granada، and the Rise of Orientalism، tr. by C. Morallas، Leiden: E. J. Brill، ٢٠١٣، p. ٢٦٤.

٢١ جامعة لى سابيانزا في روما واحدة من أكبر الجامعات الأوروبية تعداداً للطلاب. أنشأت سنة ١٣٠٣، وهي تعد أكثر الجامعات أهمية وشهرة في إيطاليا.

٢٢ Girard، p. ١٩٥.

٢٣ Loop, p. ١٦٥.

تقع سلمنكا في الشمال الغربي من إسبانيا الحالية. وتعتبر سلامنكا الميناء الرئيس لمقاطعة قشتالة. جامعة سلمنكا أكثر وأول الجامعات تحمسا لتدريس اللغة العربية وكان الغرض من ذلك هو الاضطلاع على كتب العلوم عند العرب. تبعتها في الاهتمام بأمر العربية جامعة قلعة النار (Alcal de Henares). وتقع قلعة النار في المركز من إسبانيا وهي إلى الغرب الشمالي من مدريد العاصمة.

٢٤ Loop, p. ١٧٨.

٢٥ Loop, p. ١٧٧.

٢٦ حمل أيضا اسم مراد أغا (Moreto Aga)، تعلم اللغة العربية في تلمسان، الجزائر، ولكونه وقع أسيرا وهو صغير في يد العثمانيين فقد تعلم اللغة التركية العثمانية أيضا، حفظ قسطا ما من القرآن وتفسيره، فكان أعلم المسلمين الإسبان في هذا الصدد، عمل دبلوماسيا للعثمانيين وفي نهاية أخريات حياته عمل دبلوماسيا للبلاط الإسباني في المغرب، ثم مترجما لدى ملك إسبانيا، تنصر سنة ١٥٨٩. انظر:

Mercedes García-Arenal, Loop, p. ١٦٠-١٥٩. Also, Mercedes Garcia Arnal and F. Midiano, The Orient in Spain, p. ٢٢٦-٢٢٥.

٢٧ بدأ رافلنخيوس حياته العملية مصححاً في مطبعة أنشأها كريسوفل بلاتين، وسرعان ما حذق اللغة العربية بحكم عمله في المطبعة، فانتقل منها لكي يدرس اللغة العربية، لكنه لم يمكث غير عام حتى أحل محله توماس أربينوس.

٢٨ Alastair Hamilton, William Bedwell The Arabist ، Leiden: E. J. Brill, ١٩٨٥.

٢٩ P. M. Holt, "Edward Pococke (٩١-١٦٠٤), the First Laudian Professor of Arabic at Oxford", Oxoniensia, v. ١٩٩١ ،٥٦, p. ١١٩.

٣٠ Vrolijk, The Prince of Arabists, ٣١٥.

٣١ Jones, p. ٩٧.

٣٢ لكن الحقيقة لم ينفذ هذا القرار بشكل عملي حتى سنة ١٦٣٦؛ حيث أن بوكوك ذهب في أكتوبر سنة ١٦٣٠ إلى الشام ليجمع المخطوطات ومكث هناك ست سنوات. عمل هناك راعياً لتجار شركة الشام في حلب. في أثناء إقامته في حلب تتلمذ لرجل حلبي اسمه فتح الله، وعلى ما يبدو بأنه هو نفسه الشاعر فتح الله بن عبد الله ابن النحاس الحلبي (ت ١٠٥٢هـ /١٦٤٢). وصف فتح الله إجادة تلميذه بوكوك للعربية بأنها لا تقل عن عربية مفتي حلب. كذلك تتلمذ لشخصية عربية أخرى يدعى الدرويش أحمد، كان يشتري له المخطوطات أو ينسخها له بالإضافة إلى عمله مدرساً له، استمر الدرويش يراسل بوكوك حتى بعد أن ترك الأخير حلب، ومن هذه المراسلات توجد خمس رسائل في مكتبة بودليانا، في جامعة أكسفورد، تحمل توقيع هذا الدرويش. الطريف أن الدرويش كان يشتري أيضا مخطوطات أو ينسخها لجيمس جوليوس تلميذ توماس إربينوس جوليوس ويسميه يعقوب كُل الفلمنكي، والذي ورث كرسي اللغة العربية بعد رحيل استاذه. انظر Holt, p ١٢٢، ١٢٤.

٣٣ Holt, the study of Arabic, p. ٤٤٦.

٣٤ إثر وفاته، بيعت مكتبته لجامعة أكسفورد مقابل ثمانمائة جنيه إسترليني، أي أقل من جنيهين لكل مخطوطة. انظر:

P. M. Holt, "Edward Pococke (٩١-١٦٠٤), the First Laudian Professor of Arabic at Oxford", Oxoniensia, v. ١٩٩١ ،٥٦, p. ١٢٩. Also, MaCray, Annals of the Bodleian Library, p. ١٦١.

٣٥ إدوارد بوكوك (١٦٠٤-١٦٩١) نشأ في أسرة بروتستانتية متدينة، حيث كان أبوه رجل دين. بعد تخرجه من جامعة الصليب بأكسفورد ١٦٢٠. عمل تاجرا متجولا بين حلب ولندن ثم أصبح مطران لندن. مات سنة ١٦٩١. انظر:

Holt, pp. ١٢٩ ،١٢٢.

٣٦ Arthur J. Arberry, The Cambridge School of Arabic, Cambridge, ١٩٤٣, p. ١٢. Norman Daniel, Islam and the West, Edinburgh: Edinburgh University Press, ٢٩٥ ،١٩٦٦

٣٧ توماس آدمز (Thomas Adams) كان تاجرا للقماش في لندن عندما تواصل معه أبراهام ويلكوك محاولا إقناعه بأن يتبرع ببعض ماله تكون وقفا لتعليم اللغة العربية في جامعة كمبردج.

٣٨ عين أبراهام ويلكوك Abraham Wheelocke (١٥٩٣-١٦٥٣) أميناً لمكتبة جامعة كمبردج بداية من سنة ١٦٢٩. كان له الحظ أن يناط به أمر

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

العناية بمخطوطات أمير العربية في أوروبا توماس إربينيوس بعد رحيله سنة ١٦٢٥. حصل على الماجستير من كلية اللاهوت (ترينتي) من جامعة كمبردج سنة ١٦١٨. استطاع أن يقنع السير آدمز أن يوقف أموالا لكرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج يحمل اسمه بعد مماته. ساهم في كتابة تحرير الإنجيل المتعدد اللغات، من بينهم العربية، والذي نشر في لندن سنة ١٦١٩. عاش فقيرا معظم حياته، لا يدرى ما السبب. استطاع أن يطبع الإنجيل مترجما إلى اللغة الفارسية سنة ١٦٥٢. انظر:

David Samuel Margoliouth، "Wheelocke، Abraham"، Dictionary of National Biography، ١٩٠٠–١٨٨٥، V. ٦٠، entry no. ٤٤٣.

٣٩ جوسيف سكاليجر (١٥٤٠–١٦٠٩)، ولد في إيطاليا لعالم أيضاً في اللغات. وبعد وفاة ابيه رحل إلى جامعة باريس حيث درس هناك لمدة أربع سنوات. كان جوسيف سكاليجر عالما باللغات القديمة فرنسي قيادي في مقاطعته. هرب من باريس في إثناء فتنة المذبحة سنة ١٥٧٢، إلى جنيف حيث درس هناك الفلسفة في الأكاديمي. عده هارتز أنه أعظم عالم علوم في عصر التنوير في أوروبا. انظر: Hartz. ٢٨. هرب من فرنسا إثر مذبحة ليلة سانت بارثولوميو بعد أن عاش فيها أكثر من عشرين عاما، ثم عرّج ليدرّس في جامع جنيف لمدة أربعة أعوام، ليستقر به المقام في ليدن. قضى آخر ست عشرة سنة من حياته في هولندا. شجع إربينيوس كثيرا على الترحال في طلب العلم العربي، ثم زكّاه ليدرس العربية في جامعة ليدن سنة ١٦١٣.

٤٠ اسحق كاسابون (١٥٥٩–١٦١٤)، فرنسي الجنسية، ولد في جنيف، ومات في لندن. كان عالما في اللغات وتاريخ الأمم القديمة. كان في حوزته مصحف، أعطاه لإربينيوس، إبان ما كان الأخير مشغولا بعمل كتاب في النحو العربي.

٤١ Jones، ١٦–١٥.

٤٢ Jones، p. ١٩٠.

٤٣ Maurits H. van den Boogert، "Learning Oriental Languages in the Ottoman Empire: Johannes Heyman (١٦٦٧–١٧٣٧) between Izmir and Damascus"، in The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe، Leiden: E. J. Brill، ٢٠١٧، p. ٢٩٥.

٤٤ بروخمان، ص. ٢٤. وأنظر: دكتور يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، بيروت: مطبوعات بيضون، ٤٤٢–٤٤٣.

٤٥ بطرس كريستينوس مستشرق وطبيب. بولندي المولد لكنه عاش في السويد وكان طبيب الملكة كريستينا ملكة السويد. كان مغرما باللغة العربية. أوجد مطبعة لنفسه لطباعة كتب باللغة العربية. عرفه إربينيوس عن كسب إبان تجواله في أوروبا، وتباحث معه في مباحث نحوية. ألف كتابا في النحو نشره قبل إربينيوس تحت عنوان: Grammatices Arabicae، Breslau: ١٦٠٨–١٠. لكن إربينيوس لم يعجبه هذا الكتاب ووصم صاحبه في رسالة إلى أستاذه كاسابون بـ"الجاهل". انظر:

Vrolijk، The Prince، p. ٣١٦.

٤٦ Loop، p. ١٨١، ٣. Alastair Hamilton، "The Quran as Chrestomathy in Early Modern Europe"، in Loop and Hamilton، The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe، Leiden: E. J. Brill، ٢١٣، ٢٠١٧ ff.

٤٧ Jones، p ٢٥–٢٦.

٤٨ كان حيا سنة ١٦٢٣، سافر من مصر حاملا رسالة من بطريرك الإسكندرية غبريال السابع، إلى بابا الفاتيكان كلمنت الثامن. أعجبه المقام في أوروبا فلم يعد إلى مصر آثر أن يجوب أوروبا من أقصاها إلى أقصاها. قيل أنه درّس العربية في جامعات شتى في أوروبا. لم يكن لتوماس إربينيوس رأي ذو بال عن يوسف بن أبي دقن وحذقه بالعربية، وصلته بها لم تعد أكثر من معرفته العامية المصرية. انظر:

Alastair Hamilton، "Egyptian Traveller in the Republic of Letters: Josephus Barbatus or Abudacnus the Copt"، Journal of the Warburg and Courtauld Institutes، Vol. ١٩٩٤) .٥٧)، pp. ١٥٠–١٢٣.

٤٩ John Ghobrial، "The life and Hard Times of Solomon Negri: An Arabic Teacher in Early Modern Europe"، in Loop and Hamilton، The Teaching and Learning of Arabic in Early Modern Europe، Leiden: E. J. Brill، ٣١٠، ٢٠١٧.

٥٠ Jones، p. ١٨٧.

٥١ Jones، pp. ٩٨ ،٦٩.

٥٢ Jones، p. ٩٤.

٥٣ هذا ما حدث عندما تقدم سالزار لشغل منصب الأستاذية في سلامنكا سنة ١٥٤٢. انظر Loop، p. ١٨٢.

٥٤ Loop، p. ١٨٣.

٥٥ مر على تخرجه ٤٠٠ سنة زيدت بعشر. أشار إليه الدكتور يحيى مراد إشارة عابرة في معجم أسماء المستشرقين، ص. ١١٧.

٥٦ P. M. Holt، "The Study of Arabic Historians in Seventeenth Century England: the Background and the Work of Edward Pococke"، Bulletin of the School of Oriental and African Studies، London: Vol. ١٩، No. ٤٤٤ ،(١٩٥٧)٣.

٥٧ دانيال هنسيوس (١٥٨٠-١٦٥٥ Daniel Hensius)، من أعظم علماء عصر التنوير الهولنديين. أكثر ما عرف عنه أنه أول أستاذ للعلوم السياسية في جامعة ليدن، بل وفي العالم. تبوأ مناصب كثيرة ودرّس في حقول شتى. شهرته في اللغات الكلاسيكية بلغت أركان أوروبا الأربع.

٥٨ See: S. L. Hartz، The Elseviers and Their Contemporaries، Amsterdam: Elseviers، ١٩٥٥. P. ٢٨.

٥٩ معروف أيضا باسم جان ثيونيسز (Jan Theuniz)، تعلم العربية من ممارسته للطباعة باللغة العربية عند فرانسيسكوس رافيلينجيوس. انظر الهامش التالي. في رسالة لإربينيوس إلى أستاذه كاسابون ذكر أن ثيونيسز تاجر يبيع الخمر (براندي) في أمستردام، وهو لا يتحدث اللاتينية بطلاقة. انظر: Vrolijke، The Prince، ٣١٦.

٦٠ Vrolijke، p. ٣١٩

٦١ أنشأت جامعة ليدن سنة ١٥٧٤.

٦٢ اشترى هذه المطبعة من فرانسيسكوس رافيلينجيوس (١٥٣٩-١٥٩٧ Franciscus Raphelengius) إثر وفاته. وهو ليس غريبا عن الجو الأكاديمي ومتمرسا بفن الطباعة؛ إذ كان أستاذاً للغة العبرية في جامعة ليدن. أصدرا معجما عربي – لاتيني من خمسمائة وخمسين صفحة سنة ١٦١٣ في ليدن بعنوان Lexicon Arabico-Latinum، Leiden ١٦١٣. وكان هذا القاموس أول قاموس عربي لاتيني يظهر إلى النور مطبوعا بهذا الحجم. تزوج من بنت كروستوفر بلانتين (Christopher Plantin)، وهو صاحب مطبعة مشهور في فرنسا. عمل الاثنان في طباعة الكتاب المقدس المتعدد اللغات (الإغريقية والعبرية والسريانية والآرامية واللاتينية) وقد عرف الكتاب المقدس هذا بطبعة بلانتين (Plantin Polyglot Bible). انظر:

Alastair Hamilton، "Franciscus Raphelengius' Lexicon Arabico-Latinum، Leiden ١٦١٣"، in the book Studia in memoriam Christophori Plantini (ca. ١٥٨٩-١٥٢٠)، Antwerpen: ١٩٨٩ on pages ٥٨٩-٥٥٧. See Also. G. J. Tooper، Eastern Wisdom and Learning، Oxford: Clarendon Press، ١٩٦٦.

ظل معجمه يستعمل لمدة خمسة عشر عاماً ثم جاء معجم جيكوب جوليوس، تلميذ إربينيوس عربي-لاتيني (Lexicon Arbico-Latinum) نشر سنة ١٦٥٣ نقلة عظيمة في تعلم اللغة العربية. انظر: Loop، p. ١١.

٦٣ Jones، p. ١٨٩.

٦٤ Jones، p. ١٩٧.

٦٥ Hartz، p. ٢٨.

٦٦ Girard، p. ٢٠٥.

٦٧ انظر : Loop، p. ٦.

٦٨ Arnoud Vrolijk، "The Prince of Arabists and His Many Errors: Thomas Erpenius"s Image of Joseph Scaliger and the Edition of the Proverbia Arabica (١٦١٤)"، Journal of the Warburg and Courtauld Institutes، ٢٠١٠ ،٥٣، p. ٣٠٦.

٦٩ C. Brockelmann، Geschichte der Arabischen Literatur، Leiden ١٩٤٣، v. ١، pp. ١٠٧-١٠٦.

٧٠ ليقول لهم أن المسلمين على ما هم عليه من باطل لديهم قيم ترقى على قيم البابا. انظر:

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

Arnoud Vrolijk، "The Prince of Arabists and His Many Errors: Thomas Erpenius"s Image of Joseph Scaliger and the Edition of the Proverbia Arabica (١٦١٤)"، Journal of the Warburg and Courtauld Institutes، ٢٠١٠ ،٥٣، p. ٣٠٠.

من أمثلة الأمثال التي وردت في كتاب أدريان فيليماز : لا تركب فرسك غيرك، لا ترم بها من هو في صور من حديد، إن كنت لا تعرف تصعد على السلم فلا تسلك إلى السطح، لا تلبس أبيض في الليل المظلم، لا ترسل كلبك إلى أرض ليس بها صيد. انظر: Vrolijk، p. ٣٠٨.

٧١ في الخامس من نوفمبر سنة ١٦٢٠، أعطى الأستاذ توماس إربينيوس أستاذ اللغة العربية والدراسات الشرقية خطبة في أهمية اللغة العربية، خص بها جيل جديد من طلاب اللغة العربية والدراسات الشرقية، اعترف لهم أنهم كان عندهم عذر معقول أن يتجنبوا دراسة اللغة العربية، أما الآن في عذر لكم عندي. قال:

"Away with those who want discord among us and are trying with imaginary difficulties to put you off from the study of this most excellent language! I admit that، not so long ago، it presented difficulties for us here. But that was because the necessary means – the rules، the teachers، and the books – were missing، not because of its nature. But now I hope you will never lack them in abundant supply."

See John Robert Jones، Learning Arabic in Renaissance Europe (١٦٢٤-١٥٠٥)، London: SOAS unpublished Ph. D. dissertation، ١٩٨٨، p. ١٣.

٧٢ Jones، pp. ١٥ ،١٣.

٧٣ هكذا لقبه إقليميس يوسف داود في كتابه: جامع الحجج الراهنة في إبطال دعاوى الموارنة، ص ص، ٤٩٤-٤٩٥.

٧٤ حققت أنا هذا الكتاب إبان إقامتي في أكسفورد، اعتمدت في تحقيقه على نسخة لود ونسخة إربينيوس، بالإضافة إلى الكتاب الذي طبعه إربينيوس وأصبح نادراً؛ فلم يبق منه إلا خمس وعشرين نسخة. نشر بالقاهرة تحت عنوان: تاريخ المكين، تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد، صلى الله عليه وسلم حتى الدولة الأتابكية، نشرته دار العواصم سنة ٢٠١١.

٧٥ تخرج صمويل برتش في جامعة أكسفورد بعد أن درس اللاهوت. كان يسافر كثيرا لمناحي مختلفة من العالم. نشر كتابه بصفة دورية من سنة ١٦١٣-١٦٢٦. ولأن كتابه يعتبر كتاب رحلات لم يُعلق عليه كثير انتباه من قبل المعنيين بدراسات الشرق الإسلامي، ولم يعطى مؤلفه شهرة من بين المستشرقين؛ فكان يعد من بين الكتب العامة. ولقد فاجأ برتش قراءه في الطبعة الرابعة من كتابه الحج، بأن أضاف إليه جزأً ليس بالهين عن الشرق. استقى مادته من الترجمة اللاتينية لكتاب تاريخ المكين والتي نشرها إربينيوس في ثوبها اللاتيني من وقت قريب، فاعتبر هذا الجزء بمثابة الجزء الخامس لكتابه "الحج". وبالرغم من أرائه الدينية المغلوطة عن الإسلام قدم برتش للقارئ الإنجليزي البروتستانتي حقائق طيبة عن الإسلام والمسلمين، فمثلا يعقد فصلا عن نظرة المسلمين للعلم والتعليم، يشيد فيه بإسهامات العرب في ترجمة فلسفة الإغريق. كذلك يشيد باهتمامهم بتشييد الجامعات حيثما رحلوا وحلوا مع تعيين أساتذة فيها تجرى عليهم رواتب منتظمة. أدرك برتش أهمية كتاب المكين بترجمته اللاتينية في دراسة الشرق فضمنه كتابه. أعكف أنا الآن على دراسة كتاب برتش وتحقيقه والتعليق عليه وكتابته بإنجليزية حديثة، وقد قبلت إحدى دور النشر في ألمانيا بنشره. انظر:

L. E. Pennington، The Purchas Handbook، London: The Hakluyt Society، v. ١، p. ٢٢٠.

٧٦ Edward Gibbon، The History of the Decline and Fall of the Roman Empire.

ظهر كتاب جيبون لأول مرة سنة ١٧٧٦، طبع أكثر من مرة، لا يزال يطبع إلى اليوم. وقد اطلعت أنا على المادة التي استقاها جيبون من تاريخ المكين وكتبت مقالا نشر في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، المجلد ١٢، رقم ١٢، ص. ٧-٢٦ تحت عنوان:

"The Early Sources of Edward Gibbon about Islam".